دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية

الأديب الكبير

# يحيى حقي

## شاهد على العصر

http://arabicivilization2.blogspot.com

Amly

حوار

عمر بطيشة

الأديـــب الكبيـر

# يحيـى حقـي

شاهد على العصر

**الناشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية** (ش.م.م)

**العنوان:** ١٢ ش الدقي – الجيزة – مصر

**تليفون:** ٣٧٦٢٢٨٣٠ /٠٢ - ٣٧٦٢٢٨٣١ /٠٢ - ٣٧٦٢٢٨٣٢ /٠٢ /٠٠٢ -
٣٧٤٨٠٧٢٩ /٠٢ - ٣٧٤٩١٣٨٨ /٠٢

**فاكس:** ٣٣٣٨٢٠٧٤ /٠٢

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

بطيشة، عمر.

يحيى حقي: شاهد على العصر / حوار: عمر بطيشة - ط ١٠ - الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية(ش.م.م)، [٢٠٠٩] ٧٢ ص؛ ٢٢ سم. / ١٢

**تدمك:** 978-977-455-420-7

**رقم الإيداع:** ١٥٥٣٢ / ٢٠٠٩

١- برامج الإذاعة.

٢- حقي، يحيى، ١٩٠٥-١٩٩٢.

أ- العنوان

**ديوي:** ٣٨٤,٥٤٣

**الطبعة العربية الأولى:** ٢٠١٠

**www.daralfarouk.com.eg**
**www.darelfarouk.com.eg**

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الفاروق للاستثمارات الثقافية... ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأية طريقة سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم بخلاف ذلك ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية مع حفظ حقوقنا المدنية والجنائية كافة، و الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر وإنما تعبر عن رأي أصحابها.

الأديـــب الكبيـر

# يحيـــى حقـــي

## شاهد على العصر

حـوار

## عمر بطيشة

الأديب الكبير يحيى حقي

# تقديم

شهد وطننا العديدَ من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان لها أثر كبير في تاريخنا المعاصر، تباينت حولها الآراء بين مؤيد ومعارض؛ ولأنه من حق الأجيال الجديدة أن تعرف تاريخ تلك الأحداث المهمة دون تزييف أو تنميق؛ لإيماننا بحق الناس الأصيل في المعرفة، ولأن التاريخ إذا كان مبهمًا أو مزورًا، ترتب على ذلك تشوه في الوجدان القومي يؤثر بصورة حتمية في الحاضر والمستقبل؛ لذا قمنا بنشر هذه السلسلة من برنامج «شاهد على العصر» - الذي كان يقدمه الإذاعي اللامع الأستاذ: عمر بطيشة؛ رئيس الإذاعة المصرية سابقًا - نعرض من خلالها لشهادة مجموعة من أبرز الشخصيات العامة التي كان لها حضور مؤثر في الساحة الإعلامية؛ فكانوا بذلك شهود عيان على الفترة التي عاشوا فيها.. وقد أدلى كل منهم برأيه فيما شاهده من أحداث ووقائع، هذا ولم نقتصر في اختيارنا لهذه الشخصيات على فئة معينة من الأفراد، أو توجه سياسي معين؛ بل تناولنا شخصيات سياسية، وأدبية،

وعلمية، تمثل كافة التيارات الثقافية والسياسية في مصر، وقد التزمنا الحياد التام، وتوخينا الصدق والأمانة في عرضنا لهذه الآراء كما أدلى بها أصحابها؛ لتكون سجلًّا موثقًا لفترة مهمة من تاريخنا المعاصر، آملين أن نكون قد قمنا بإثراء الوعي الثقافي لدى أبناء هذا الجيل.

الناشر..

# مقدمة

بريء كطفل، مفكر كفيلسوف، حالم كشاعر، هكذا كان صاحب القنديل الذي أضاء الطريق أمام أدبائنا جيلًا بعد جيل، يبدو - أول ما يبدو - للناظر في وجه طفل لم يجرِّب الحوادث ولم يجر على وجهه الزمان، رغم ملامح الكهولة البادية في اشتعال الرأس شيبًا، وتغضُّن العينين هونًا ما، وانحناء القامة بما يردُّك إلى حقيقة الرجل الكبير، ويستدرجك بالبسمة الحانية إلى عالمه الجميل، فتدخله بلا عسر ولا تكلف مشقة، وسوف تُراعُ لسعة هذا العالم وعلو سمائه ورحابة أرضه وخصوبة تربته، وسيأخذك أخذًا هينًا من ضيق نفسك إلى سعة نفسه، ولن تملك إلا العجب لهذا الرجل المحيط، أنى له هذا العلم؟! ومن أين يسيل هذا الحديث الدافق الحار؟! من أين ينبع هذا الزخم الرائع من الحكايات الجميلة؟

وسوف يأخذك العجب ثانيًا عندما تختبر علم الرجل وحكمته، فتلفاه على براءة سمته محيطًا بما يدور حوله من مشكلات الأدب والثقافة والاجتماع، ذا رأي فيما يعرض له من هذه المسائل

ولا يعرض لذلك بادي الرأي وإنما تحسبه راجع المسألة مرة بعد مرة حتى ارتاح لما يراه مطمئنًا إليه واثقًا به، وستخرج من معيته وقد ربحت صفقتك علمًا وأدبًا وعلو نفس، وذلك كيل يسير.

ولستَ في حاجة بعد ذلك إلى العجب، إذا ما ألفيته حالمًا كشاعر؛ فإن مَن يحمل في دخائله نفسَ طفل طُبِعت على البراءة والعذوبة، وعقلَ عالم يعرف موارد الأفكار ومصادرها، لا نزيد شيئًا والحال ما نرى، إذا ما قلنا: إننا ننعت نفسًا شاعرة وإن لم تقل الشعر قط، وما الشاعر إلا دهشة الطفل وبصيرة الحكيم مجتمعَيْن في آنٍ، وما الشعر إلا جوهر الحياة مسبوك في تعبير عذب مصفًّى، وذلك كان كاتبنا الكبير يحيى حقي كما عرفناه، وإن استبدل بفن الشعر فن القصة، يصب فيه نفسه وخواطره وما تراه عيناه وتجيش به نفسه، فيخرج ذلك كله صورةً واقعيةً لحياة المهمَّشين المطوية في أنحاء الريف أو أطراف الصعيد، أو حارات المدينة القابعة تحت أسداف الظلام.

# يحيى حقي

ولد الكاتب الكبير يحيى حقي رائد القصة القصيرة في يوم السبت الموافق ٧ يناير سنة ١٩٠٥م، في بيت صغير متواضع بدرب الميضة وراء المقام الزينبي بحي السيدة زينب بالقاهرة؛ وهو الحي الذي قضى فيه سني طفولته. وكانت ولادته ونشأته في أسرة تركية مسلمة متوسطة الحال؛ هاجرت من الأناضول وأقامت حقبة في شبه جزيرة «المورة»، وقد نزح أحد أبناء هذه العائلة إلى مصر ـ في أوائل القرن التاسع عشر ، قادمًا من اليونان هو إبراهيم حقي (توفي سنة ١٨٩٠) وكانت خالته السيدة حفيظة المورالية (خازندارة) بقصور الخديوي إسماعيل؛ فتمكنت من تعيين قريبها الوافد في خدمة الحكومة، فاشتغل زمنًا في دمياط، ثم تدرج في الوظائف حتى أصبح مديرًا لمصلحة في بندر المحمودية بالبحيرة؛ ثم وكيلًا لمديرية البحيرة؛ وهذا الرجل هو جد يحيى حقي. وقد أسس إبراهيم حقي أسرة تركية المعدن تنصهر في بوتقة البيئة المصرية؛ فأنجب ثلاثة أبناء هم على الترتيب: محمد (والد يحيى حقي)، ومحمود طاهر حقي الذي ولد في دمياط سنة ١٨٨٤م ، وتوفي في يناير ١٩٦٥م، وهو الأديب المعروف، وأخيرًا كامل حقي (توفي في ٢ من مايو سنة ١٩٧٢م).

تلقى الأديب الكبير تعليمه الأوليَّ في كُتَّاب السيدة زينب، ثم التحق عام ١٩١٢ بمدرسة «والدة عباس باشا الأول» الابتدائية بالقاهرة. وفي عام ١٩١٧، حصل على الشهادة الابتدائية، فالتحق بالمدرسة السيوفية، ثم انتقل إلى المدرسة السعيدية لمدة عام، ومن بعدها إلى المدرسة الخديوية والتي حصل منها على شهادة البكالوريا، وكان ترتيبه من بين الخمسين الأوائل على مستوى القطر كله، ثم التحق في أكتوبر ١٩٢١ بمدرسة الحقوق السلطانية العليا في جامعة فؤاد الأول، وخلال دراسته للحقوق، كتب القصة القصيرة متأثرًا بالأدب الروسي. وفي عام ١٩٢٥ حصل على درجة الليسانس في الحقوق، وجاء ترتيبه الرابع عشر.

عمل يحيى حقي بعد تخرجه محاميًا ثم معاونًا للإدارة بصعيد مصر لمدة عامين من ١٩٢٧ إلى ١٩٢٨، وقد كان لهذه المدة أثرها الواضح في أدبه حيث اتسمت كتاباته بالواقعية الشديدة، فعبرت بصدق عن قضايا ومشكلات مجتمع الريف في الصعيد، وظهر ذلك في عدد من أعماله القصصية مثل: «البوسطجي»، و«قصة في سجن»، و«أبو فروة».

التحق الأديب الكبير بعد ذلك بالسلك الدبلوماسي، وقضى نحو خمسة عشر عامًا خارج مصر، وقد بدأ عمله الدبلوماسي في جدة، ثم انتقل إلى تركيا، ثم إلى روما، وعندما عاد إلى مصر إبان الحرب العالمية

الثانية عُيِّن سكرتيرًا ثالثًا في الإدارة الاقتصادية لوزارة الخارجية، وظل بها نحو عشر سنين، رُقِّي خلالها حتى درجة سكرتير أول، حيث شغل منصب مدير مكتب وزير الخارجية، وقد ظل يشغله حتى عام ١٩٤٩؛ وتحول بعد ذلك إلى السلك السياسي إذ عمل سكرتيرًا أول للسفارة المصرية في باريس، ثم مستشارًا في سفارة مصر بأنقرة من عام ١٩٥١ إلى عام ١٩٥٢، فوزيرًا مفوضًا في ليبيا عام ١٩٥٣. وقد أُقِيلَ من العمل الدبلوماسي عام ١٩٥٤ عندما تزوج بأجنبية، وعاد إلى مصر ليستقر فيها؛ فعُين مديرًا عامًّا لمصلحة التجارة الداخلية بوزارة التجارة.

وفي عام ١٩٥٥، أنشئت مصلحة الفنون (النواة الأولى لوزارة الثقافة فيما بعد)، فاختير مديرًا لها، وكان له دور مؤسس في النهضة الثقافية التي عرفتها مصر في تلك السنوات وما بعدها.

وقد نقل مستشارًا لدار الكتب سنة ١٩٥٨، وهي السنة التي ألغيت فيها مصلحة الفنون، فكان بذلك أول وآخر مدير لها، وبعد أقل من سنة واحدة أي عام ١٩٥٩ قدَّم استقالته من العمل الحكومي، لكنه ما لبث أن عاد في إبريل عام ١٩٦٢ رئيسًا لتحرير مجلة «المجلة» التي ظل يتولى مسؤوليتها حتى ديسمبر سنة ١٩٧٠. وقد نجح خلال هذه المدة في تحويل تلك الدورية إلى منبر ثقافي مؤثر،

قدم من خلاله الكثير من المواهب الجديدة في ميادين القصة القصيرة والرواية والشعر والنقد.

صدرت مجموعته القصصية (قنديل أم هاشم) كأول كتاب ليحيى حقي عام ١٩٤٤، ونشر في الصحف والمجلات منذ أواسط العشرينيات، وخاصة في صحيفة «الفجر» لسان حال «المدرسة الحديثة» وليدة ثورة ١٩١٩ الوطنية، ولهذه «المدرسة الحديثة» فضل كبير بتعريف البيئة المصرية بالقصة في مفهومها الحديث، التي كان يحيى حقي من أوائل مَنْ كتبوها بالعربية.

وإلى جوار القصة والرواية، أسهم يحيى حقي في كتابة المقال الأدبي، والنقد الأدبي والفني، والدراسات الأدبية، والسيرة الذاتية. وله ثمانية وعشرون كتابًا، غير القصص والمسرحيات والكتب التي ترجمها.

نال يحيي حقي أكثر من جائزة في حياته الأدبية، من بينها جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٩، كما منحته الحكومة الفرنسية وسام فارس من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣، كما نال العديد من الجوائز في أوربا وفي البلدان العربية، أيضًا منحته جامعة المنيا عام ١٩٨٣ الدكتوراه الفخرية؛ ونال جائزة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي في دورته السادسة عشرة؛ وجائزة الملك فيصل العالمية - فرع الأدب العربي - لكونه رائدًا من رواد القصة العربية الحديثة، عام ١٩٩٠.

في عام ١٩٩١، صدر له كتاب «خليها على الله» مبينًا على غلافه الداخلي أنه «السيرة الذاتية لأديبنا الكبير يحيى حقي، عاشق اللغة العربية تحدثًا وكتابة وقراءة، وأحد أبرز رواد الرواية والقصة القصيرة واللوحة القلمية في الأدب العربي الحديث والمعاصر، والحائز على أكبر جائزة عربية تمنح للعلماء والأدباء وهي جائزة الملك فيصل العالمية، التي نالها تكريمًا وتقديرًا لعطائه الإبداعي وجهوده الأدبية».

وفي ضحى يوم الأربعاء، التاسع من ديسمبر، عام ١٩٩٢ م توفي يحيى حقي في القاهرة،عن عمر يناهز سبعة وثمانين عامًا؛ بعد أن أعقب تراثًا كبيرًا من الفكر والأدب؛ إبداعا ونقدًا .

وقد رحل الأديب الكبير مخلفًا وراءه تركة من الكنوز الأدبية من القصة وفن المقال، منها: (قنديل أم هاشم - صح النوم - أم العواجز - ناس في الظل - دماء وطين - رجل وامرأة).. وغيرها من مجموعات قصصية وكتب نقدية وأدبية وصحفية.

# نص
# الشهادة والحوار

ضيفنا نهر يتدفق حكمة وعطاء، يلقبونه بأبي القصة، وإن كان هو يرفض الأكلشيهات الجاهزة. الدبلوماسية في حياته لم تكن عملًا فقط، وإنما سلوك وأسلوب، مقلٌّ في عدد الصفحات، مُكْثِر فيما تخرج به كقارئ من لآلئ من أعماق هذه الصفحات، منحته مصر الدكتوراه الفخرية، وكم حصل الكثيرون على الدكتوراه في أدبه وفكره، ومَن غيره؟! إنه الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقي[1].

## يحيى حقي والأكلشيهات

**الأستاذ الكبير يحيى حقي ماذا تود أن تقول في بداية هذا الحوار؟**

- أقول إن هذا الشعورُ الذي ينتابني الآن لا يأتيني إلا من أعز صديق، إنني أمام ماء يتدفق على لوح من الرخام، يسيل ولا يبقى منه شيء، وقد ذكرتَ الأكلشيهات وكرهي لها، فهذه العقلية نفسها هي من وراء هذا الكلام، والحمد لله أنك لم تقل عني بحرًا؛ لأنهم في الصعيد هناك يطلقون على نهر النيل، بحر النيل، ومثل هذه الأشياء البالية آن الأوان حقيقة أن نتخلص منها؛ لأنها تمثل مشكلة رئيسة في حياتنا؛ هذا البعد الشاسع بين المعنى واللفظ.

---

(١) أجري هذا الحوار في ديسمبر ١٩٨٢.

**بالإضافة إلى أنني قلت: إنك لا تحب الأكلشيهات الجاهزة، لكن في تصوري حين أقدم شخصية مثلك، فينبغي أن أقول تلك الأكلشيهات التي أطلقها عليك الآخرون، فليس هذا الكلام من لدن نفسي!**

- ربما ما ينبغي هو أن تقدِّر القارئ، فإما أن يكون يعرفني ويقرأ لي فهو لا يحتاج إلى مثل هذا الكلام، وإما أنه لا يعرفني ولم يقرأ لي فمثل هذا الكلام إذن لن يقدم ولن يؤخر.

**إذن، فلو أراد الأستاذ يحيى حقي أن يقدم لنفسه، فما التقديم الأمثل الذي يراه؟**

- سوف أمدح نفسي في هذا الحال، وأقول: رجل يعشق الفن. وحاول أن ينقل شعوره بهذا الفن إلى غيره.

## قرأت الجبرتي فاستكملت مصريتي

**من هذا المنطلق؛ منطلق عشق الفن، نطلب شهادة الأستاذ يحيى حقي على هذا العصر الذي يعيشه، فلو نظرت نظرة سريعة وشاملة على العصر، فماذا تقول؟**

- تعرف أن القضية التي تشغل جميع المفكرين والمثقفين اليوم هي قضية الأصالة والحداثة، ولا تقتصر هذه القضية فقط على الفكر

والأدب والفنون، بل إنها تدخل في مجالات الاقتصاد، حيث يقوم الاقتصاد اليوم على فكرتين؛ فكرة الشريعة المعتمدة على الزكاة، واقتصاد قائم على الأساليب الواردة إلينا من الغرب سواء من الجناح الاشتراكي أو الجناح الرأسمالي، تلك هي قضية اليوم، وهي خلاصة الصدام أو التلاقي بين الغرب والشرق، بين الحضارة الحديثة وبين تراثنا، وليست تلك القضية بنت اليوم، بل هي بدأت حينما التقى الشرق بالغرب، وقد التقينا في الماضي مرتين؛ مرة خلال عصر العباسيين، وقد كنا وقتها نسبق أوربا في التقدم العلمي، ثم التقينا أيام الصليبيين لما أرسل صلاح الدين حكيمه إلى ريتشارد قلب الأسد، فأثبتنا أننا فوقهم أيضًا. ثم لا تدري ماذا حدث بعد ذلك، فقد ارتقى الغرب من حيث تأخرنا نحن، وهي نقطة جديرة بالبحث الجيد من جميع مؤرخينا وباحثينا، أين وقف تقدم الشرق؟ ولماذا توقف؟

ثم حدث لقاء خطير جدًّا، بالنسبة لمصر في المقام الأول، ثم للعالم العربي بعد ذلك، أعني به الحملة الفرنسية، ولحسن الحظ أن لدينا تسجيلًا من أجمل ما يمكن لهذه الصدمة، وهو كتاب لرجل أعشقه إلى حد الوله، أقصد عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، وقد عثرت على هذا الكتاب مصادفة عندما ذهبت إلى قنصليتنا في جدة، سنة ١٩٢٩،

فوجدت هناك نسخة لهذا الكتاب ولم أكن قد قرأته من قبلُ، فلما قرأته استكملت مصريتي، فهو الذي عرفني بمصر وبالمصريين وبخصائص الأمة المصرية، ويكفي أن أدلَّك على مثال لذلك، وهو الشعور بالاستمرارية في الطابع المصري، كنت قد قرأت شيئًا عن الثورة العرابية قبل أن أقرأ كتاب الجبرتي، فوجدت أن الشعب الذي خرج يسب توفيق قائلًا: «يا توفيق يا وش القملة من قال لك تعمل دي العملة» هو هو الشعب الذي خرج بإيعاز من محمد علي مهاجمًا البرديسي، فحينًا يقول: «يا برديسي إيش تاخد من تفليسي»، وحينًا يقول: «يا برديسي يا وش القملة من قال لك تعمل دي العملة».

فذُهِلت لما رأيت استمرارية هذا الشعب المحتفظ بالنداء الذي يعبِّر فيه عن نفسه، ثم بعد ذلك، نجد الجبرتي يصف لنا أباه، الشيخ حسن الجبرتي - وأذكر أنني في هذا الوقت كنت أكتب مقالاتي ممهورة بعبد الرحمن بن حسن؛ وذلك لفرط إعجابي بالجبرتي - وصف لنا الجبرتي كيف يستقبل أبوه طلبته في البيت وكيف يعلمهم.

على كل حال، ما الذي حدث؟ وجدنا صدامًا بين جماعة من الخواجات - وذلك أن نابليون كان قد جلب معه جيشًا من العلماء، الذين أحضروا برفقتهم المطبعة - وجدناهم مهتمين بالكيمياء والآثار وطريقة رسمها، والعلوم الطبيعية على العموم، حتى إنهم

سخروا من علماء الأزهر، فأدخلوهم إلى معاملهم وأطلعوهم على تجاربهم العجيبة، فوقف الأزهر مذهولًا أمام هذا الخضم من العلم. تعجَّب المصريون لدرجة أن الجبرتي وصف عربة نقل الأتربة في صفحة كاملة تقريبًا من كتابه.

حسنٌ، فما الخطوة التالية التي حدثت بعد الحملة الفرنسية؟ جاء عصر محمد علي، والحملة الفرنسية وإن كانت قد تراجعت إلا أنها تركت الفرنسيين في القاهرة، فاستعان بهم محمد علي، كما رأينا من استعانته بالجنرال سيف في الجيش، كما استعان بهم في الطب، والمدارس الحديثة، ثم وجدنا محمد علي بضغط من الفرنسيين يطلب من الأزهر أن يلتزم مكانته ليقوم هو بإنشاء المدارس الحديثة، وذلك هو التغلغل الثقافي. وأنا أعد هذا اليوم الذي انفصل فيه محمد علي عن الأزهر، هو أسوأ يوم في تاريخ مصر الحديثة؛ لأنه شق الأمة المصرية شقين، ففي هذه الفترة تقرر مصيري أنا الآن، في هذه الفترة تقرر أن أكلِّمك وأنا أرتدي بدلة، على حين كان من الممكن أن أكلمك الآن وأنا أرتدي عمامة وقفطانًا، والأزهر في ذلك الوقت كان بمثابة جامعة من أعرق جامعات العالم، كان بواب الأزهر أعمى، عندما تطرق بابَه يدٌ، أيًّا كانت هذه اليد، فإنه يفتح لها دون النظر إلى لون أو جنس أو عُمْرٍ، بل يسأله سؤالًا واحدًا، يقول له: هل تحفظ شيئًا من القرآن؟ فإذا أجاب بنعم، قال له: تفضل!

## وقف لبغلة شيخ الأزهر

**تلك كانت رخصة الدخول في ذلك الوقت إلى الأزهر.**

- كان الأزهر يوفر له السكن والطعام ويتيح له اختيار معلمه، كما يتيح له اختيار موعد الامتحان، وما يشاء، وكان الأزهر يتمتع باستقلال تام بفضل المسلمين الذين تركوا في أوقافهم تلك الخيرات، حيث أوقفوا مثلًا وقفًا لشعير بغلة شيخ الأزهر، حتى البغلة كان لها ذكر في الأوقاف، وكان بعض علماء الأزهر يحترفون صناعات أخرى، فلم يكن ثمة تكالب على المال، مثلما يحدث الآن، بل أكثر من ذلك أن الأزهر كان حَرَمًا لا يُسمَح للبوليس بدخوله، حتى إن الجبرتي يذكر أن المزيفين كانوا يدخلون الأزهر لتزوير الأموال، وثمة نقطة أردت - أيضًا - أن أتناولها وهي أن شيخ الأزهر لم يكن قابلًا للعزل؛ فمن قراءاتي رأيت أن الوالي إذا ما أراد عزل شيخ الأزهر، فإنه لا يعزله رأسًا، وإنما عند حلول موعد التشريفة يُقبِل شيخ الأزهر ليسلِّم على الوالي فيشيح الآخر عنه بوجهه، فيعرف أنه من المغضوب عليهم فيستقيل. وقد راجعت الأستاذ عبد الله عنان، فأخبرني أننا لا نمتلك المراجع التي تثبت أنه كان غير قابل للعزل. المهم أن الأزهر كان حصنًا يحتضن الشعب، كان يستمد طلبته من

أعماق الصعيد، ومن جميع نواحي القاهرة، وهذا الحنان والحرص على استمرارية الأزهر واستقلاليته وعدم احتكامه لغير نفسه، يدل على الوحدة العاطفية بين الأمة وبين مؤسسة التعليم. فلما حدث الانشقاق وانشقت مصر شقين، حيًّا إفرنجيًّا وحيًّا عربيًّا، كما حدث في كل بلد يدخله الأجانب، حتى إن مصر الجديدة قسمت إلى حي السرايات في جانب وحي العرب بجوار مسجد في ناحية أخرى، وشتان ما بين المساكن هنا والمساكن هناك. هكذا حدث الانشقاق الكبير بين الصفين، وربما أراد محمد علي أن يستدرج الأزهر لكن الأزهر وقف ضده، حتى إن الجبرتي كان ضد محمد علي، وهاجمه لشعوره بأنه رجل غادر، ربما ينوي الخير لكنه خائن، فبعد أن يتفق مع عمر مكرم وأصحابه يقوم بذبحهم، كما يصف لنا كيف أن محمد علي سخَّر العمال في بناء مؤسساته دون مقابل نقدي، وفوق ذلك يجبر هؤلاء العمال على أن يؤجِّروا رجلًا معه طبلة أو مزمار من جيبهم الخاص حتى يُسمِعهم من الأغاني ما يحثهم على العمل والإسراع فيه. هكذا استمر انهيار الأزهر لما نحَّوه جانبًا، ورغم كون الأزهر في هذا الوقت يمتلك بذرة التطور، غير أنها كانت في حاجة إلى متابعة العمل قليلًا

والاستمرار فيه، فمثلًا كان الأزهر في ذلك الوقت يدرس علم الهيئة لكنه لم يكن يدري أنهم في أوربا يمتلكون التلسكوب، ومع أن علم الهيئة في حاجة إلى علوم أخرى كعلوم الحساب وغيرها، بما يدل على تقدمهم فإنهم مع عدم امتلاكهم للتلسكوب كانوا في وادٍ آخر غير وادي الفلك. على كل حال، فقد تراجع الأزهر كثيرًا، واشترك المصريون أنفسهم في هدمه، فجاء علي مبارك - وأنا أعده من عظماء رجال مصر - جاء ليستخرج من باطنه مدرسة دار العلوم؛ لتعليم اللغة العربية، فماذا أبقيتَ إذن للأزهر؟! ثم جاء آخر وقال: لنخرج - أيضًا - القاضي الشرعي من الأزهر، وهؤلاء الخارجون من الأزهر بقوا مدة يرتدون العمامة ثم انقلبوا إلى الطربوش. أما التعليم الذي وجد كأثر لبعثات محمد علي فقد قضى عليها في مهدها عباس الأول، فأصبحنا أمام صنفين مؤلمين للغاية، شيخ معمَّم في حال انهزام، بالنسبة للعصر الحديث، وأفندي يجلس أمام مكتب بفضل الاحتلال الإنجليزي، وهو غير قادر بدوره على هضم الحضارة الحديثة، وهكذا انهارت العملية التعليمية سواء لدى الأفندية أو لدى الشيوخ، حتى وقعت ثورة سنة ١٩، وحدث بها الالتحام القوي بين جميع طبقات الشعب.

## نكسة الأزهر والأفندية

**أتعني أن الفجوة التي وقعت بين فئات الشعب أعيد رأبها في ثورة ١٩؟**

- أو على الأقل في بداية المطالبة بالاستقلال في ظل الحماية الإنجليزية، فلا ننسى جهاد مصطفى كامل في فتح المدارس، أو المطالبة بفتح الجامعة المصرية الأهلية، فهناك بوادر حركة انبعاث جديدة في مصر بعد النكسة التي مني بها الفرعان معًا، وليته كان فرعًا واحدًا الذي أصيب، فرع الأزهر أو فرع الأفندية، لكن الاثنين أصيبا بنكسة فظيعة جدًّا. حتى إن كلمة أفندي في اللغة الإنجليزية أصبحت مرادفة للسب الآن، بما يعني أنه ذلك الرجل المهندم الجالس أمام مكتبه لكن لا عمل له ولا معلومات لديه.

**رغم أنه كان لقبًا في فترة من الفترات؟**

- نعم، كان لقبًا زمن الأتراك، المهم أنه في سنة ١٩، بدأ نوع من الانبعاث مرة أخرى وظهر أكثر ما ظهر في الفنون، كما رأينا مختار في النحت، وسيد درويش في الموسيقى، وأنصار المدارس الحديثة في الأدب، وظهر طلعت حرب في الاقتصاد. وهكذا بدأ الشعب يرأب الصدع في هذين الاتجاهين ويوجد نوعًا من

الالتحام، وبالفعل وجد هذا، فالثورة ولدت في الأزهر وقام خطباؤنا في الأزهر، ودخل كثير من رجال الأزهر في السياسة؛ سعد زغلول نفسه كان أزهريًّا، وهكذا وجد التحام كبير بين هاتين الفئتين، وكان لدينا أمل كبير في استمرار التلاقي، لكن لم نتمكن من هذا لأننا كنا نرضخ تحت نير الاحتلال الإنجليزي، ولك أن تتذكر متى رحل الإنجليز عن مصر، في الوقت الذي قفزت فيه العلوم في أوربا بشكل لا يمكن أن يتصوره العقل، بحيث لا نستطيع نحن الآن أن نلاحقه. ولكن نعود لنتساءل: فما الحل؟ يُخيَّل إليَّ أن الرأي السليم الذي اهتدينا إليه ونحاول أن نشرحه، هو أن نحاول أن نستورد المنهج وطريقة التفكير، أما طريقة تنفيذ هذا المنهج فلا بد أن تكون نابعة من أصولنا، وبين أيدينا تراث كبير جدًّا، يمكننا الرجوع إليه والاهتداء بهديه، فالمسألة - إذن - في حاجة إلى جهد مزدوج من الجميع.

**لي تعقيب بسيط على موضوع استيراد المنهج، هل نحن بالفعل في حاجة إلى استيراد منهج؟**

- أولًا ما المنهج؟ عندما تكون أمامنا مشكلة بحثية، فما وسائل بحث هذه المشكلة؟ وسائلها أن تتبع ظروفها ومنشأها، وعمل دراسة ميدانية لها، وتجمع كل المراجع عليها.

**أعتقد أن المنهج نفسه موجود في ديننا وتراثنا، فهل تقصد المنهجية؟**

- نعم، أنا أقصد طريقة حل المشكلات، تلك هي طريقة المنهج.

## لا أحب اللطم على الخدود

**بعد أن ألقينا نظرة على أحداث العصر والتصدعات التي حصلت خلال المائة سنة، نريد أن نعرف: ما مقومات هذا العصر الذي نحياه الآن، وأين موقع الإيمان والفن والحب من حياتنا؟**

- أنا لا أريد أن أبالغ فأُخضِع هذا كله لظروف اقتصادية، فأقول: إن ازدحام السكان قلل من العِشرة بين الناس، وإن ازدحام المواصلات قطع الصلات بينهم... إلخ؛ لأني أعتقد أن الفضائل كامنة في الإنسان، وأنه سيبقى دائمًا قادرًا على أن يحب ويتمنى أن يُحَبَّ لا جدال في ذلك، في أي زمان أو مكان. ثم إني لا أحب حلقات اللطم على الخدود، كلما جلست في مجلس يتباكون ويلطمون وجوههم حزنًا على الحال التي وصلنا إليها، بل إني أشعر بإعياء شديد جدًّا، فإذا كنت قادرًا على عمل شيء

فإني في هذه الحال أفقد تلك القدرة عليه، لذلك أتمنى من كل شخص يحضر مثل هذه المجالس أن يصمت أولًا، وأن يصمم في داخله على ألا ينهزم أمام هذا السيل من الشكوى والنواح، ومن يقدر على خير يفعله فليفعلْه.

**☜ خاصة أننا نملك مقومات الأمل، فهو ليس حلمًا خياليًّا عندنا نحن المصريين؟**

- نعم، ويكفي أن نحصي عدد الذين تعلموا في مصر وهم ألوف موجودون الآن في الجامعات العربية، وأراهم يقدمون هناك أعمالًا أفضل بكثير مما يقدمونه في مصر.

**☜ هل نستطيع الزعم بأنك من خلال هذه الصورة متفائل؟**

- أنا لا أتشاءم أبدًا، أبدًا.

**☜ الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقي، هل ترى تغيرًا حدث في الشخصية المصرية، تلك التي بدأت حديثك عنها؟**

- أنا معجب جدًّا بالشخصية المصرية، خصوصًا في الصعيد الذي عشت فيه سنتين؛ لأني وجدت المثال الفذّ في أن الصعيد يعيش ولديه إحساسٌ كوني بالكون.

## الفلاح والجهات الأربع

**ماذا تقصد بقولك «إحساس كوني بالكون»؟**

- سأضرب لك مثالًا، أنا كنت في عيادة طبيب بالمستشفى، فدخل رجل صعيدي ليجري كشفًا، دخل من باب المستشفى ثم أدخله الطبيب من حجرة إلى حجرة ومن طرقة إلى أخرى، ثم قال له الطبيب: ارقد! وذلك في حجرة مظلمة، فلما رقد على السرير سأله الطبيب: أي جنب يؤلمك؟ فرد الصعيدي على الفور: جنبي البحري! ولك أن تتصور هذا الفلاح القابع بالحجرة كيف يكون شعوره بالجهات الأربع؟ أنا متأكد أنك لو قذفت به من البلكون ببرشوط فسيقول لك: «جَبِّلْ عليَّ».

هذا المصري يتمتع بقوة غريبة للغاية، خصوصًا في الصعيد الذي يمثل صلب الشعب المصري، حتى الهرم الأكبر تجد أضلاعه الأربعة في مقابل الجهات الأربع تمامًا، فكأن هذا الفلاح الذي رأيته هو هذا الهرم.

**بالفعل يظهر ذلك الشعور بجغرافية الكون حتى في سكنه إذ تجده ما زال يحتفظ بألفاظ «القبلي» و«البحري».**

- وكلمة بحري تلك يطلقها على النيل، ذلك النهر العظيم الذي تستطيع أن تركب فيه مركبًا من منبعه إلى مصبه، نظرًا لدفع التيار المائي لك، وأما بالعكس فتيار الهواء يدفعك. هناك -

إذن - خصائص جديرة بالبحث من الفنانين والكتّاب والأدباء ويحسن أن يلتفتوا إليها، خصوصًا من كتّاب القصة، ذلك أن الصعيد لم يُدرَس إلى الآن دراسة كافية.

**إذن، فأنت ترى أن الأدب المعاصر لم ينقل لنا روح العصر؟!**

- ربما تناول الأدب بعضًا من المسائل الفردية والتي ربما اتسعت لتتناول بعضًا من المسائل الأسرية، لكن القصد في الأدب أن ينقل لنا الطبقات السفلى، أن يتوصل إلى الغرائز أكثر منه إلى العواطف، يجب أن نصف الغرائز أكثر من وصفنا للعواطف التي قتلناها وصفًا، فطبيعة الشعب المصري تكمن في الأسرار الدفينة في هذه الأرض، ليس ضروريًّا أن يتكلم الأديب عنها وكأنه عالم جيولوجي، بل عليه أن يقدم لنا شخوصًا نشعر بها كشخصيات ثرية متعددة الجوانب بسبب ارتباطها بتاريخ وحضارة وثقافة ثرية بدورها.

## اللغـــة أولاً

**لكن يبقى السؤال: هل حدث تغيُّر في الشخصية المصرية؟**

- أنا أشهد أن الشباب الآن لديهم قدرة على الاستقلالية أكثر مما كنا عليه، رغم أنهم حُرِموا قليلًا من التعليم، فلا شك أن

مستوى التعليم هبط، خصوصًا بالنسبة للغات الأجنبية التي أعلق عليها أهمية خاصة.

**اللغات الأجنبية واللغة العربية أيضًا؟**

- نعم، وأنا أريد أن أستطرد من الحديث عن اللغة إلى الحديث عن العلاج، في اعتقادي أن الخطوة الأولى الرئيسة هو أن نولي لغتنا اهتمامًا كبيرًا جدًّا؛ لأن اللغة هي وسيلة الاتصال، وهي وسيلة التعبير عن الفكر، فإذا كان اللفظ عائمًا، أو كما وصفت لك: ماء يسيل على لوح رخام، لن يمكن لهذا القالب أن يحمل تفكيرًا دقيقًا، وعليه يجب أن نولي أهمية كبيرة جدًّا لتعليم لغتنا العربية في مدارسنا، بما ينبغي معه أن نترك شرح النحو والصرف جانبًا ولنقرأ النصوص، وليكن جل عمل المعلم أن يقرأ لطالبه نصوصًا جيدة على مدار سنتين أو ثلاثة، بحيث يكتسب نوعًا من السليقة ثم ينتقل المدرس إلى شرح قواعد النحو والصرف، أما أن ندرِّسهما من المبدأ هكذا، فلا يمكن أبدًا.

**أعتقد أن هذا هو ما يحدث في تعليم اللغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية مثلًا، فهم لا يبدءون بدراسة القواعد وإنما بدراسة نصوص تليها القواعد!**

- لكن مسألة دراسة اللغة الإنجليزية بهذه الطريقة مسألة نفعية، هم يريدون للطالب أن يتمكن سريعًا من اللغة التي تسهل عليه فهم الخطاب، أما أنا فأتحدث عنها كمسألة لغوية، فأريد للطالب أن يصل إلى التشبُّع بسليقة اللغة، وليس بطريقة نفعية.

## شكّلوا ولو حرفًا في الكلمة

**لا أدري هل كانت فكرة سابقة لديّ أم أن حديثك عن اللغة العربية فجّر هذا السؤال عن حضارتنا التي يقال إنها حضارة شفهية، مع علمي أنك في أول الحوار قد رفضت الأكلشيهات الجاهزة، والعبارات سابقة التجهيز، فهل حقًّا حضارتنا شفهية؟**

- ما أكثر ما هاجمنا المستشرقون وغيرهم! وكان على رأس هذه الاتهامات أن لغتنا لغة شفوية، وأنها إذا ما كتبت فهي بحاجة إلى تشكيل، فلا بد في زعمهم من التشكيل حتى تستطيع أن تنطق اللغة، ولذلك قالوا: في اللغات الأخرى أنت تقرأ لتفهم، أما في العربية فيجب أن تفهم لكي تقرأ، فمثلًا إذا ما قرأت جملة فعلية مبنية للمجهول نحو: بُني اليوم كوبري، فسوف تقرأها على عدة مرات أولًا حتى تصل إلى فهمها ثم تقرأها، حتى إنني مثلًا -

تفاديًا لمشكلة عدم التشكيل في المطبعة الآن ـ أكتب متحايلًا: تم بناء؛ حتى يستطيع القارئ أن يستمر في القراءة.

على أية حال، كل اللغات بدأت شفوية، وهل يمكن أن نتصور غير هذا؟! لا يمكن أن نتصور غير هذا بحال، فقبل اختراع الكتابة كان الناس يتكلَّمون، وهكذا بدأت كل اللغات شفوية، وليس فقط اللغة العربية، والحاصل أن المتكلم يكتسب سليقة اللغة، ويعرف بالتالي كيف تُكْتَب الجملة، ويعرف بالتالي أين موضع الفاعل من المفعول به من الفعل من المجرور، فالقارئ العربي بمجرد أن تقع عيناه على السطر يمشِّطه بنظرة واحدة فيعرف أين الفاعل من المفعول من المجرور، أما أن تأتي بإنسان ضعيف في اللغة العربية فالطبيعي أن يختل نطقه لها، لذا أطالب بأن نشكل في الكلمة ولو حرفًا واحدًا، وهو مضارع الثلاثي، أما الرباعي فلا صعوبة فيه نحو (أقبل يُقبِل)، أما (أكل) و(شرب) ففيها ستة أبواب، فما أريده أن يُشكَّل حرف واحد فقط، فكل حرف يليه حرف مد لا يُشكَّل، مثل: (في)، (ما)... إلخ، أما الحرف المعقَّد قليلًا فيجب أن يُشكَّل، ستقول لي: إن أحرف الطباعة الحديثة لا تحتمل أي تشكيل، فسوف أقول: هل نضحي بأنفسنا من أجل الطباعة الحديثة، بل ليتنا نعود بأنفسنا

إلى الكتابة باليد لكي ننتقل إلى الخطوة الانتقالية، يجب أن نحصل على وسيلة لكي نقرأ النص قراءة صحيحة.

## حديث عيسى بن هشام.. يدرِّس

**لذلك يقال: إن هناك فجوة بين الفصحى وبين العامية، وإن الناس يتكلمون العامية؛ لأنها لغة الحديث اليومي؟**

- دعني أتفاءل، وأمسك أية جريدة يومية لدينا، أهرام أو أخبار أو جمهورية أو غيره، تجد كلامًا مكتوبًا بلغة عربية سليمة، وفيها نحو سليم، وتنقل إليك أخبار العالم من سياسة إلى اجتماع إلى اقتصاد.... إلخ، فاللغة العربية بهذا الشكل متقدمة، فأنا أقرأ عمود الأهرام منذ خمسة وسبعين سنة، أقرأه لأرى ما حدث في تطور الأسلوب واللغة، فتجد أشياء مضحكة للغاية، فنحن في خلال خمس وسبعين سنة قفزنا قفزات كبيرة جدًّا، حتى في ميدان الأدب، لم يكن هيكل في رواية (زينب) يستطيع أن يترجم كلمة SOCIETY «مجتمعًا»، فكان يطلق عليها الجماعة، وسلامة موسى يدَّعي أنه هو الذي اخترع كلمة الثقافة، وكأن لم يكن قبله ثقافة، وأعتقد أن ابن خلدون استعملها بدوره، على

كل حال، فمن أهم الكتب التي ينبغي أن يدرسها الكتَّاب عندنا حديث عيسى بن هشام، الذي ألَّفه محمد المويلحي، لماذا؟ لأنه في حديث عيسى بن هشام يتصور أنه قد أنقذ من القبر رجلًا من قدامى الباشوات، ولكنه في الواقع أنقذ اللغة العربية من قبرها؛ لأن اللغة العربية الفصحى كانت مقتصرة على المقالات النظرية أو المناقشات الفلسفية، أما المويلحي فقد دخل بها دواوين الحكومة وقسم البوليس ومكتب المحامي والمحكمة الشرعية، فاضطر أن يطوِّع اللغة العربية الفصحى للتعبير عن مطالب العصر الحديث، واستمر الأدب الروائي القصصي في أداء هذه الخدمة، فلذلك أقول: إن الأدب القصصي في مصر لعب دورًا لم يلعبه في أي بلد آخر وهو أنه كان الوسيلة الأولى في تطويع الفصحى للتعبير عن مطالب العصر الحديث.

**☜ قبل الانتقال إلى موضوع آخر وبمناسبة الحديث عن هيكل والقصص المصرية، هل ترى أننا في حاجة إلى إعادة كتابة التاريخ الأدبي المصري مرة أخرى؟**

- نعم، خاصة لوجود نواحٍ لم تدرس بعد.

**غير المشهورين كطه حسين والعقاد؟**

- بالضبط، ولو أنك قابلت الأدباء الشبان الذين يأتونني كفؤاد دوّارة فإنني عرَّفتهم بنواحٍ كثيرة لم يكونوا قد درسوها، ولي في ذلك محاولات يسيرة، كما في كتابي «فجر القصة المصرية» تكلَّمت عن عيسى وشحاتة عبيد ولم يتكلم عنهم أحد من قبل، وتكلمت عن مصطفى عبد الرازق ككاتب قصة، وقلت في نفسي: هذا خط بدأته فليقتحمه النقاد اقتحامًا، أين مثلًا إسماعيل مظهر صاحب القاموس؟! ومجلة العصور التي كان يصدرها؟ أين المحامي الشهير لطفي جمعة صاحب الإنتاج الكبير جدًّا، وكتابه بطل الأنبياء.

وقد كان لطفي جمعة صديقًا لي، وكان يقول لي: لقد كتبت في الفلك خمسين قصة مكتوبًا عليها: مترجمة من الأدب الروسي، وكلها من تأليفي، ولم يسألني أحد: أين أصل هذه القصص؟

**ووسيم خالد كذلك، وحسن محمود؟!**

- أما وسيم خالد، فقد ذُهِلت عندما قرأت كتابه؛ لأنه وصل بالفعل إلى أعمق أعماق نفسية الشاب الذي يحمل مسدسًا، كان دراميًّا رائعًا، ولكنه - مع الأسف - مكتوب بلغة متكسرة للغاية، وحسن محمود له درة ألححت على زملائي أن يدرسوها

اسمها «الجدول الصغير»، وكان حسن محمود صاحب الفضل في إدارة (الكاتب المصري) أيام كان يرأسها طه حسين.

**الكاتب الكبير يحيى حقي، لماذا لم تكتب شعرًا رغم أنك متذوق عظيم للشعر؟!**

- لم أكتب شعرًا قط في الحقيقة؛ لأني أعتبر الشعر هو قمة الفن القولي، وأنا أسمي الأدب فن القول.

## عندما يكون الأدباء لقطاء

**هل تعتقد أن الشعر تراجع في هذا العصر الذي نعيشه؟**

- هناك شعر حديث وتصوير حديث وموسيقى حديثة، وأنا أحمد الله كثيرًا؛ لأني ما زلت أستطيع أن أتذوق كل ما هو حديث ولا أرفضه، وكما قلت لك: فالموسيقى هي الموسيقى أما كونها حديثة فهي كرجل يغيِّر من هندامه وهو هو، أما الجسم الداخلي فيجب أن يعطيني ما أنتظره منه، وأنا لا أزوج ابنتي عمودًا من الخشب، بل أزوجها أعضاء حية بالفعل، فمن يدَّعي أنه يكتب شعرًا حديثًا فليرني شعرًا أولًا، ثم إني مستعد أن أفهم كونه حديثًا، ومن حسن الحظ أن لدينا قالبًا قد يحل المشكلة؛ لأنك إذا ما قرأت لي قصيدة بالغة الطول فإنها تنقلب

إلى النثرية ولا يبقى في ذهني أي من هذه الأبيات، الخلاصة: إن الفن إمتاع جمالي، يجب أن يحدث في نفس المتلقي هزة، وهو ما نفتقده في الشعر الحديث إذا ما طال إلى صفحات بل ينقلب نثرًا، ولا يبقى في أذني منه بيت واحد، فاقترحت أن يكتبوا في شكل الرباعيات، تستطيعون أن تجرِّبوا الكتابة فيه حتى يبقى للشعر مذاقه، كما يمكنكم أن تعبِّروا عن طريق فن المسرح، وهو ما يصلح للشعر الحديث أكثر.

**أليس لإيقاع العصر من آلية وتوتر وسرعة علاقة بذلك؟**

- لا شك، ومن ذلك أن كثيرًا من التطور في علم الموسيقى عبارة عن ضربات، وفي الموسيقى لمسات، وفي الشعر جمل قصيرة، وهكذا ينعكس إيقاع العصر على تلك الفنون، لكن كما قلت لك: يبقى المنبع الأصلي وجدُّنا الأكبر هو الفن، وإذا لم يوجد هذا الخط الذي يصل ما بين الفن وبين القالب الأخير، وجدنا الأدباء والفنانين لقطاء في الشوارع لا أصل لهم.

**رغم الإفراط في كتابة الشعر، وما نسمعه كل يوم من مواهب شعرية صاعدة، لست أزعم أنهم مواهب حقيقية، لكن نرى أن كل من أمسك ورقة وقلمًا يعد نفسه كاتبًا.**

- أنا أدير امتحانًا لهؤلاء، وهو أن أتوقع نهاية البيت الذي يقوله وغالبًا ما أنجح في ذلك، بما يدل على عدم شاعريته؛ لأنني لست شاعرًا، وإنما أعرف ذلك من وضوح القافية، فأعرف إلى أين ينتهي بها، فهو بهذا شعر ركيك، خاصة الأزجال منه، ولكن لحسن الحظ أن كان بيننا في العصر الحديث شعراء من الدرجة الأولى، كصلاح عبد الصبور، وعبد المعطي حجازي وأضرابهما.

**أيضًا، أنا لا أخجل من سؤال الأستاذ يحيى حقي عن الأغنية، وأنا أذكر أنك في أحد كتبك تناولت الأغنية وكتبت عن بعض شعراء الأغنية، وأذكر منهم فتحي قورة؟**

- نعم، تكلّمت عن فتحي قورة وعن مرسي جميل عزيز، وحسين السيد، وكان جُلُّ همي أن أُظهر هذا النوع من الشعر الذي يغفله المجتمع بالمرة، ولم يتناوله أحد نقادنا، بينما هو جانب من الأهمية بمكان، إذ هو عواطف الجماهير، وبه تعابير فنية من الدرجة الأولى، وذلك - أيضًا - كان من المواضيع المهمة التي أردت أن أنبه الأدباء والنقاد إليها ولكن بلا جدوى.

## التلحين الآن .. سلق بيض

**وما رأيك في الأغنية المعاصرة كعمل متكامل؟**

- دعني أتكلم عن التلحين، فمن أنفع الاختراعات التي توصل إليها الإنسان هو مفتاح غلق الراديو، فأنا أنزعج بشدة لدرجة المرض نتيجة الرتابة والملل الشديدين من التلحين، وكأنه «سلق بيض»، بينما الأعمال الفنية لا تخرج هكذا أبدًا، بهذا التشابه الرتيب، ورحم الله منير مراد، قال: إننا كلنا نعمل عملًا واحدًا، نكوي قميصًا والفارق أن واحدًا يكويه من اليمين إلى الشمال والآخر من الشمال إلى اليمين.

إذن، فلا مجهود يبذل في التلحين، وإلا فكيف يأخذ أحدهم النص من الإذاعة ويذهب إلى بيته ليملي عليهم اللحن بالتلفون؟!

**أعتقد أن شباب هذا الجيل لا يختلف في ذوقه عن الأستاذ يحيى حقي بدليل انصرافهم إلى ألوان فنية أخرى!**

- كان ينبغي لنا أن نبني على أساس ما لدينا من تواشيح وبشارف[1]، أما التواشيح فكغناء، والبشارف كموسيقى صامتة، كان ينبغي أن نسير على هدي هاتين الخطوتين، كما أنني

(١) البَشْرَف: مقدمة اللحن في الموسيقى.

لا أحب أن أسمع مقولة من يقول: ما هـذه الأغنيـات البذيئـة! ففي كل شعوب العالم نجد أغنيات الشوارع والملاهي وغيرهـا، ولا يوجد شعب يستغني عن تلك الأغنيات «التافهـة»، وكأنهـا تشبع بعض رغباته، والمرء أحيانًـا يـشعر بـضيق فيـتكلم كلامًـا فارغًا، فلا يصح أن ننزعج من تلك الأغنيـات التافهـة، وإذا مـا وجدنا ثرثرة في التلحين بما لا يقدِّم ولا يؤخر، فلندعها وشـأنها، وهي ستختفي بدورها، ولكن يجـب أن تكـون هنـاك دراسـات جادة لوضـع أغنيـات جيـدة، هـل تتـصور شـعبًا يعـيش عـلى الأغنيات فقط، يعيش على الفول السوداني والتسالي فقط!

## الأغاني لا تثبت وطنيتنا

**☜ على ذكر الأغاني، هل ترانا في حاجة إلى تعريف جديد للوطنيـة أم نكتفي بما تحدده لنا الأغنية الوطنية؟**

- الأغاني مثلها مثل أي عمل فني آخر، لا نطلب منه إلا الـذوق، فإذا ما شعرنا أن هـذه الأغـاني نابعـة مـن قلـب يحـس حقيقـة بالكلام فلا مانع من ذلك، أما أن تضغط على زر لتتدفق عليك مئات الأغنيات الوطنية في يوم واحد نظرًا لمناسبة ما، فإن هـذا يكون أمرًا مدمرًا؛ لأنهـم يـضعون أجمـل المعـاني في دور رقيـق للبيع، أو كي نعبر عـن حبنـا لمـصر نعـبر بأغنيـة؟! بـل هنـاك

وسائل هي أجدى في التعبير عن حبنا لمصر، فليتك تكتب قصة جميلة أو قصيدة أو ترسم لوحة، أو تؤدي عملًا على وجه الإجمال فذلك أنفع، ولكني أعلق أهمية كبيرة على الفنون؛ لأنها هي البضاعة النافقة بكل يسر، ولعلك تلحظ أننا - والحمد لله - نرسل بعثات في فن التصوير نجد نوعًا من الانتباه إلى حد ما ولو لم تكن بالدرجة التي تجدها من الصحف، وهذا يرجع - أيضًا - إلى بعض المبالغات الصحفية وهي بعض عيوبنا ويجب أن نقتصد قليلًا، وليكن كل معرض يأتي من أوربا يرفق به خلاصة ما كتب عنه هناك، فلا يكفي أن نقول: ولاقت هذه المعارض نجاحًا عظيمًا. أعرف أن هذا الكلام من الممكن أن يُغضِب البعض، ولكن يجب أن أقوله، ماذا أفهم أنا من قولهم: نجح نجاحًا عظيمًا.. هذا شيء حسن، لكن ماذا قال النقاد عنه؟ يجب أن نلم بمقتطفات من الصحف التي قرَّظته.

لعلك تلحظ أنني أصبحت ثرثارًا؛ لأني لم أكتب شيئًا منذ فترة طويلة، مما أتاح لي قدرة على الثرثرة، خاصة وهي من أعراض الشيخوخة فأصحابها يشتهرون بالثرثرة، وقد نسيت أن أقول لك شيئًا مهمًّا، وما ذلك إلا نتيجة ثرثرتي: ما الوصف الحقيقي الحاصل الآن للمحاولات التي نبذلها في وصف اللقاء بين الشرق والغرب؟ وبذلك نعود إلى قضية العصر.

كنت وأنا شاب، ألحظ أننا نتعرض لحملات في مسائل محددة، كمسألة الرق في الإسلام، فيكتب شفيق باشا نافيًا الرق في الإسلام، أو كمسألة تعدد الزوجات في الإسلام، فينهض أحدهم ليبرز الحكمة في تعدد الزوجات، أو كمسألة التوكل في الإسلام، فيرد الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد على هذه الدعوى.

**تقصد الفرق بين التوكل والتواكل؟!**

- نعم، وفي رسالة التوحيد يعتبر الأستاذ محمد عبده أن التوكل هو أساس الشجاعة، وليس أساس الخمول، فعندما تعلم أنك في يد الله فلا تقلق من شيء، وهكذا كان الهجوم فرعيًّا وكانت الردود فرعية، بالإضافة إلى الهجوم الشديد على اللغة العربية، كما ذكرتَ أنت من أن اللغة العربية شفهية وليست مكتوبة، وأن الألفاظ بها ميوعة، ولي في ذلك محاضرة ألقيتها بدمشق عرضت لهذا الموضوع بتفصيل وإسهاب. فما الواجب علينا حينها؟ الواجب المفروض علينا وقتها ألا نرد في فرعيات أو أبواب منفصلة، بل كان الواجب أن نقدم تصورًا شاملًا لمعنى حياة أمة إسلامية تريد أن تطبق شريعتها، أما ما نفعله فهو كترقيع الثوب، افرض أن لدينا ثوبًا، قالوا لنا: تلك القطعة من الثوب نريد تغييرها بقطعة من حضارتنا، فنمزقها ونضع

مقابلًا لها قطعة نتصور أنها توافقنا في عصرنا الحديث، بينما بقية الثوب كما هي، كان المفروض إذا طلبنا التحديث أن نستبدل ثوبًا آخر من حضارتنا أيضًا بهذا الثوب المهلهل الذي نرتديه.

**نفهم من ذلك أنك تطالب بتصور شمولي للمسألة؟!**

- مع الاعتراف أنه قد يكون من المستحيل التطبيق الفوري، نظرًا لتشابك الحياة بجميع فروعها من رؤوس أموال ومن اتصالات وغيرها، فلا نستطيع الفصل التام مرة واحدة بين هذا وذلك، بل يجب التدرج قليلًا قليلًا، ونكسب أرضًا جديدة كل يوم، على أن يكون في ذهننا في نهاية الأمر تلك الدولة أو الأمة التي تطبِّق تراثها لتكون قادرة على مسايرة العصر الحديث.

هذا يستدعي - أيضًا - من الناحية السياسية اتحادًا بين الدول العربية والإسلامية حتى يسهل علينا عندما نضع لنا نظامًا خاصًّا بنا يسهل تطبيقه.

**ونعود بهذه الطريقة إلى الأمة الإسلامية في عنفوانها..**

- لحسن الحظ أننا الآن أمام تجربتين يجب أن ندرسهما بعمق، تجربة مصطفى كمال في تركيا، عندما قرر أن تنتقل تركيا فورًا من دولة دينية إلى دولة علمانية، فورًا تلغى الشريعة الإسلامية ويطبق القانون المدني.

**ولكن فشلت هذه التجربة!**

- لكن يجب أن ندرس هذه التجربة وندرس ما حصل فيها، أما النظرية الأخيرة فهي إيران، فمصطفى كمال ذهب التطرف في ناحية، وفي مقابلها ذهبت إيران، ولكن لحسن الحظ - أيضًا - أن مصر أمة وسط، وأنها في جميع عصورها كرهت العنف، وكرهت التطرف ووصلت بجميع النظريات إلى حد وسط، كذا يفرض عليها موقعها الجغرافي، كما تفرض ذلك طبيعتها ومزاجها، فنحن على استعداد كبير أن نشق طريقنا دون أن نتطرف إلى يسار أو إلى يمين.

## مصر ليست أم الدنيا

**من ضمن الأكلشيهات التي تعترض عليها مقولة «مصر أم الدنيا»، في حين أن البعض يرى أن ذلك نوع من العزة المصرية، حيث يرى المصريون أنهم أقدم حضارة في التاريخ، ألا ترى ذلك؟**

- أحب أن يعتز كل إنسان بوطنه، لكن لما يقول الألمان: ألمانيا فوق الجميع، حتى في نشيدها القومي.. فنعم، أحب أن نحس هذه الوطنية لكن بلا طنطنة فارغة، وكأنها راية نسير تحتها، صحيح أنا أحب بلدي لكن لا داعي لأن أقول أنها أم الدنيا وهكذا، وفي النهاية مصر تستحق العشق فهي حقيقة تتمتع

بسحر غريب تنفرد به، وانظر حين تسير في هذا الوادي جنوب سقارة مثلًا تجد جوًّا من أجمل ما يمكن، وهو الشعور الذي وصفته لك بالشعور الكوني، الذي وجدناه عند الصعيدي الذي شعر بأنه متصل بالكون.

**☜ هل ترى هذا الإنسان في الصعيد - والذي وصفته بالإنسان الكوني - هل تراه في أماكن أخرى كالقاهرة؟**

- بالطبع، لكل مكان في مصر طبيعته الخاصة به، فلا شك أن الدلتا تعرضت لهجرات أجنبية كثيرة ولها خصائص غير الصعيد، فالصعيد هو العمود الفقري لمصر في الحقيقة، ومن حسن الحظ أن لدينا اللونين هذا وذاك، فهذا ثراء كبير جدًّا، لكن مع الأسف الشديد نتيجة ظروف الحياة الحاضرة فقد قُلِّلت من أهمية الصعيد لدينا، ويكفي مدحًا للصعيد أن أقول لك: إنه هو الذي قدم لنا الأغاني الفلكلورية والتي لا تجدها في الدلتا، تجد أغلبها وأجملها من هناك، مثل: (يا وابور الساعة ١٢)، و(يا بهية)، وغيرها تجدها صعيدية، الأمر الآخر أنني حينما كنت في الصعيد كانت هناك بنت اسمها «ناعسة» من قرية اسمها مزاتة، فوجدت الصعيد كله يتغنى بناعسة تلك، فأيضًا قدَّم لنا نموذجًا أسطوريًّا لبنت مثل «تاييس» في العصر

الهلينى في مصر، والتي كانت تمثلها ناعسة في العصر الحديث، مثل هذا لا تجده في الدلتا.

**لكن، ألا يوجد في الدلتا أمثال قنديل أم هاشم؟!**

- بالطبع، لكنها لم تدخل في الفلكلور الشعبي أو الأغاني، أما الصعيد فقد تغنى كله بناعسة: (ناعسة نزلت في القارب ما تنسم ساعة يا هوا).

فالمنبع الذي أحسست به إحساسًا كبيرًا جدًّا هو هذا الثراء الكبير والأصالة.

## يحيى حقي والقرآن

**نحن نرى بالفعل في هذا العصر الذي نحياه أن القضية التي تطرحها هي بالفعل مطروحة على كل المستويات، فمن قائل بأنه يجب الأخذ من الغرب والاعتماد على العلم والجانب التكنولوجي، وآخرون يرون التمسك بالأصالة وعدم التغيير.. فأي من هذين الاتجاهين نريد؟**

- نحن نريد وضوح الرؤية، بأن نرى الصحيح دون مبالغة، فمثلًا: هل ثمة شك في أن القرآن والدين الإسلامي الحنيف يحثان الإنسان على استعمال العقل، بل إن هذا الكتاب يأمر

الناس بأن يسيحوا في الأرض، وينظروا ليعتبروا - وسوف أعود إليك لألفت النظر إلى ظاهرة غريبة في اللغة - وبالنسبة لتجربتي مع القرآن فقد بدأت في المدرسة الابتدائية أنشد السور القصار بنغم رقيق كان يهز شعورنا ووجداننا، خاصة تلك السور التي تتعرض للأيتام، ثم كبرنا قليلًا فقلَّ هذا الإحساس شيئًا ما.. ثم بدأنا نتلقى هجومًا على القرآن، من المستشرقين وغيرهم، كأن يقولوا مثلًا: هذا القرآن مكتوب بلغة صعبة، وهو غير مفهوم. ثم في أواخر عمري انتبهت إلى ظاهرة غريبة جدًّا، وهي أني إذا استثنيت بعض الكلمات وهي تعد على أصابع اليد الواحدة، فإنك لا تشك أن القرآن مكتوب الآن، حيث إن لغته غاية في البساطة مقارنة مثلًا بالشعر الجاهلي، إنه لشيء مذهل أن تستطيع لغة كُتِبت منذ أربعة عشر قرنًا أن تعطيك إحساسًا بأنها كتبت اليوم!

**هذا هو الإعجاز الإلهي!**

- نعم، وهو إعجاز في اللغة العربية أيضًا، فرغم مرور أربعة عشر قرنًا، استمرت هذه اللغة قادرة على التعبير عن الحقائق بلغة قادرة على الاستمرار في هذا الزمن، فآن أن نكف عن هذا التوجس من لغة القرآن، فبإمكاني أن أقرأ لك العديد

من السور ولن تجد فيها كلمة غير مفهومة، بل يفهمها تلاميذ المدارس الابتدائية، فلنتوجه - إذن - إلى الجوانب الحقيقية في هذا الموضوع وندرسها بوضوح رؤية.

## يحيى حقي.. تلميذًا

**بمناسبة التلاميذ في جيلك، كنت تبدأ بالكتَّاب حيث الضرب على الأكف!**

- ضُرِبت بالفعل أكثر من مرة، وقد حملت على التعليم الابتدائي في زمني حملة شديدة جدًّا، على خلاف الكثير من الكتاب الذين يشيدون بهذا النوع من التعليم، بينما نحن أوذينا أذية كبيرة جدًّا في التعليم الأولي.

**والآن، فإن التلاميذ لا يُضرَبون، فكيف ترى الاختلاف بين تلميذ الأمس وتلميذ اليوم؟**

- أرى في تلميذ اليوم ميزة لم تكن في جيلنا، على الأقل هو يشاهد التلفاز، فهو على اتصال بالعالم الخارجي لم يُتَح لأيٍّ منا فيما مضى، وشاهد العديد من الأمثال والقصص والعواطف التي حُرِمنا منها، ولذلك - ولعلك تشهد فأنت أهل ذلك - فإن التلفاز من أهم

الفروق بين جيلنا والجيل الحاضر، وهي أداة كالسكين قد تذبح وقد تشفي من داء، والواجب استخدامه فيما ينفع الناس، لا أريد للتلفاز أن يكون كئيبًا ثقيل الدم، على العكس ثمة جانب للتسلية يجب أن يحتفظ به، ومع ذلك فلدى التلفاز شرائط تسجيلية يجب الاهتمام بها وأخرى في العلوم، وليتها تترجم إلى العربية، أو عن طريق «الدبلجة»، لماذا؟ لأن نسبة الأمية لدينا كبيرة جدًّا، وتلك كانت ظاهرة في السينما المصرية، حيث إنها كانت صامتة في مبدأ أمرها، فكان الجمهور يدخل ولا يفهم شيئًا مما يعرض له، وما إن نطقت السينما حتى وجد الجمهور الأمي الرواية التي يريد أن يقرأها، وأقبل عليها الناس بشدة مطالبين أن تكون الرواية بالعامية، ووافق المنتجون على ذلك بناء على طلب الناس، وبذلك استمر هبوط مستوى الفيلم المصري بسبب الضغط السابق من الأميين على السينما، ونحن الآن نحاول التخلص من ذلك رويدًا، مع الصعوبات التي نلاقيها؛ نظرًا لتحكُّم الجمهور.

ونعود إلى القضية الأبدية؛ أيهما يبدأ قبل الآخر؟ العرض أم الطلب؟ يطلب الجمهور شيئًا ونريد له شيئًا أجود، والمسألة أننا لا يجب أن نخضع تمامًا لطلب الجماهير ونهبط بالفن.

## يحى حقي وجزء عم .. علاقة خاصة جدًّا

**هذا رأي جديد تمامًا وفي حاجة إلى بعض التوضيح والتفصيل حول القرآن الكريم وقراءته في هذا العصر من كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقي!**

- أريد أن أروي لك علاقتي بالقرآن، كنت في بيتنا صغيرًا لا تنقطع علاقتي به، ولكن لقائي العاطفي الشديد به بدأ وأنا تلميذ في الصف الأول الابتدائي، وكانت سني سبع سنوات، في حين كان الفصل بأكمله، اثنين وخمسين تلميذًا، يقرؤون معًا بصوت واحد جزء عم، تلك الآيات التي كانت لها شاعرية عجيبة في قلوبنا، خاصة تلك الآيات التي كانت تتحدث عن عواطف تمس قلوبنا كآيات العناية باليتيم، والوصاية برعايته، لم أر كتابًا يحض على الرعاية باليتيم كالقرآن، كما نراه يتكلم قائلًا: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١، ٢]، وذلك الموقف الغريب الذي يشيح فيه الرسول الكريم بوجهه عن الأعمى، فيأتيه الوحي معاتبًا: لماذا تفعل ذلك؟!

هذه النغمات جعلت القرآن يصل إلى قلوبنا وأذهاننا وأسماعنا كنغم أكثر منه معنى، فلما أن تقدمت بنا السن وتحولنا من السماع إلى القراءة وجدنا شيئًا من الصعوبة في الفهم، ثم ارتحلنا إلى أوربا فأصبحنا ضحية

لأقوال من قبيل صعوبة اللغة العربية وأنها لغة قديمة مهجورة، وبوجود كلمات في القرآن يصعب فهمها ومختلف في تفسيرها، بالإضافة إلى ما يقال عن اللغة العربية من أنها لغة شفهية، ثم إنني فيما عدا كلمات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة اكتشفت أن القرآن فيما يُخَيَّل إليَّ وكأنه مكتوب بلهجة معاصرة، إن لم نبالغ ونقول: لغة الصحف، كلام سهل يسيرٌ على طفل عمره تسع سنين أن يفهمه، وهكذا يتحول الإنسان مع هذه اللغة من شعور إلى شعور آخر، تلك اللغة التي استطاعت عبر أربعة عشر قرنًا أن تظل محتفظة بشخصيتها وقدرتها على الإبانة والتعبير، بأيسر الطرق وأسهلها، فما يقوله لنا المستشرقون: هذا كنز وعبء في آن! فليس من المعقول أن تتحجر اللغة وأنتم تزعمون أنها وقفت منذ أربعة عشر قرنًا وإلى الآن، وهو غير صحيح، ونحن في الحقيقة نشعر أنها كنز وليست عبئًا؛ ولنا أن نتساءل: ما قيمة اللغة؟ اللغة هي انتقال واستمرار بين جيل وجيل، فهل هناك لغة أخرى جعلت كل جيل يسلّم المشعل إلى الجيل اللاحق، وهذا هو سر القوة.

## عبء المثقف العربي أكبر من الإنجليزي

### ☜ اللغات الأخرى عمرها بضع مئات من السنين فقط!

- أنا دائمًا ما أقارن حال شاب إنجليزي مثقف جالس في بيته يتناول من خلفه كتابًا من على رف مكتبته ليقرأه، لا أتصور أن يتناول كتابًا

عمره يزيد على ثلاثمائة سنة، بينما أنا أعود إلى بيتي وفي يدي ديوان امرئ القيس لأقرأه وهو يعود إلى أربعة عشر قرنًا مضين، هذه هي الاستمرارية التي أحكي عنها، ولذلك فالعبء على المثقف العربي أكبر من الإنجليزي؛ لأن الإنجليزي يتعلم اللغة الجارية وحسبه، بينما على الشاب العربي لكي يحس بانتمائه لا بد أن يوثِّق صلته بكل الطرق، ستقول لي: هذا عسير. وهل في الدنيا شيء يسير؟! ومَن قال بأن هناك لغة لا قواعد لها يصعب دراستها؟ ولقد مرت الأمة الإسلامية والعربية بمواقف انهيار وانحدار، وأصبحنا نرى أن اللغة زخارف وكلمات، ولكن هذا يرجع أولًا إلى المجتمع والأمة في نفسها، وما اللغة إلا نتاج لهذا المجتمع.

**ولكن، الآن ككائن يعيش بيننا ونعيش به في هذا العصر إلى أين وصلت؟**

- دعني أقل لك شيئًا: لقد مررت بتجربة شخصية غريبة غاية الغرابة، وأنا لا أستقي أيًّا من آرائي في الفن أو الأدب أو السياسة من الكتب، وإنما أستقيها من المعاناة الشخصية، من معاناتي أنا، فإذا ما أردت أن أكتب قصة قصيرة أنظر في نفسي: ما المشكلات التي قابلتها وما الحلول التي اقترحتها لحلها، والمواجهة وجهًا لوجه بيني وبين القصة التي أكتبها، تلك هي

آرائي ومعلوماتي وشروطي التي أضعها للقصة، فأنا لا أستمدها أبدًا من كتاب، وإنما من معاناتي أنا الشخصية. وقد مررت - كما قلت - بتجربة غاية في الغرابة، كان لدينا مجلة أمريكية تصدر باللهجة الأمريكية وليس الإنجليزية بما فيها من مستحدثات مادية أو معنوية، ثم قُرِّر أن تصدر نسخة عربية من هذه المجلة تسمى المختار، وأوكلوا رئاسة تحريرها إلى فؤاد صرُّوف ومحمود شاكر صديقي وأستاذي سكرتيرًا للتحرير، وقد عملت مترجمًا في هذه المجلة، أقول لك: إننا تعاهدنا أولًا على أن نكون ملتزمين بمنتهى الأمانة، في ضرورة نقل النص الأمريكي الحديث، باللغة العربية الفصحى التي يقال إنها تجمَّدت وتحجَّرت وأصبحت لا تماشي روح العصر. وأنا أؤكد لك أن أي شاب يدرس اللغة العربية لو تمكن من مراجعة هذه الأعداد التي صدرت من مجلة المختار لدُهِش كيف أمكن لهيئة التحرير بفضل الأستاذ محمود شاكر الذي كان يراجع كل ما يكتب من مقالات، إننا استطعنا أن ننقل الأفكار والتعابير بما تمتاز به من ماديات أو معنويات كما هي من المجتمع الأمريكي في القرن العشرين إلى العربية الفصحى. فالمسألة - إذن - مسألة مجهود وعمل يبذل.

## كيف نربي الطفل بالقرآن؟

**إن هذا الموضوع يفتح الباب على قضيتين مهمَّتين: ألا يحتاج الأمر إلى إعادة النظر في منهج الدين بالنسبة للمدارس وما هو مقرر على التلاميذ الصغار من آيات قرآنية للحفظ؟ وما رأيك في أن نختار الآيات البعيدة عن العذاب وذكر النار؟**

- مثل ذلك مثل من يقول: عندما أذهب لأداء صلاة الجمعة أجد الإمام يقف يسبني ويتوعدني بنار جهنم من مبدأ خطبته لمنتهاها. لكن هذا الكلام لا يمس جوهر القضية، فجوهر القضية هو في المقام الأول الشعور بالدين، وثانيًا: الشعور باللغة، وأنا على العكس من ذلك أرى من الضروري أن يحفظ الصبي جزء عم وهو ما دون السابعة، حتى لو لم يفهم بعض الألفاظ، وحتى لو لم تُشرَح له، لماذا؟ لأن اللغة سليقة، اللغة مَلَكة في حاجة إلى دُرْبة ومِران ومشاركة من الأذن والعين في فهمها ودراستها، والتعليم في الصغر من الأهمية بمكان، وأنا أؤكد لك أن الذي يعتاد بلسانه وأذنيه قراءة صحيحة مضبوطة فإنه - على الأقل - يضع يده على مفتاح من مفاتيح اللغة يبقى في يده إلى آخر عمره. نحن - إذن - لا نتخوف حينما نقول بأن في القرآن كلمات صعبة، كل ما عليك أن تعلِّم الصبي الصغير الدين الإسلامي، أما هو فحينما يستكمل قواه ويدرس القرآن

والدين الإسلامي كاملًا، فإنه يضع كل شيء في نصابه، وأن لا يستفيض في ذكر صعوبة الوصول إلى الجنة ولا يجنح في الحديث عن عذاب النار، فهذا مقابل ذلك، ويجب أن توصف النار كما يجب أن توصف الجنة.

**لكن هناك بعض الأصوات ارتفعت قائلة: يستحسن أن يبتدئ الطفل حفظه للقرآن بالآيات الكونية كالشمس وضحاها مثلًا. ما رأيك في هذا؟**

- يجب أن يكون هناك توقير للقرآن، فهو يجبُّ كل شيء آخر، وأنا حريص على أن يفهم الطفل الصغير أن القرآن ثلاثون جزءًا، وأن هذا هو الجزء الثلاثون، يبدأ بسورة عم، وقد كنا نحفظ عم، وتبارك وقد سمع، دلالة على أن القرآن ثلاثون جزءًا، يبدأ كل جزء منها بسورة من هذه السور، تلك أساسيات لا بد منها، وكأنك تدخل رجلًا لأول مرة بيتًا، وتريد أن تريه كل حجرات البيت لا أن تدخله حجرة ثم تغلق باقي الأبواب، بل يجب عليك أن تفتح له الأبواب جميعها، ولا خوف من ذلك، وفي نهاية الأمر ألسنا متفقين على أن الدين سلوك أكثر منه عبادات، فماذا يضير هذا الجدل في تربية النشء الذي يجب في توجيهه بالنصوص أن يوجه - أيضًا - بالسلوك، هذه هي العناية الأولى

التي يجب أن نبذل فيها كل جهدنا، أن نعوِّد الطفل على السلوك وليس على الحفظ، وأنا أستمع باستمرار إلى محطة القرآن الكريم وأعجب غاية العجب بأسئلة القراء، كما أعجب ببرنامج علم التجويد، وأنا - والله - أكون في حالة سُكْر وانتشاء عندما أجد وصفًا لكل حرف وطريقة نطقه وتنغيمه، وهذا عجيب فلم يحدث في لغة أن دُرِس كتاب من جميع نواحيه كما درس القرآن، خاصة علم التجويد، وما يلفت نظري من الأسئلة التي ترد في أسئلة القراء أنهم يتحولون من السلوك إلى النصوص، لذا أطالب القائمين على هذه البرامج بأن يتجهوا فورًا إلى تربية السلوك.. وتربية الطفل على ذلك النهج.

## أين النمط الإسلامي؟

☜ **على اعتبار أن الدين عبادة وسلوك ومنهج حياة..**

- كنت أحلم دائمًا وأتساءل: من اليسير أن تردَّ من تراه أمامك في الشارع إلى أي نمط ينتمي إليه، هذا إنجليزي أو إيطالي أو فرنسي، فما هو نمط الإسلام؟ أحاول كثيرًا وأنجح عندما أرى شخصًا أو اثنين أستطيع أن أقول بثقة: هذا **هو نمط الإسلام** الذي أنشده.

**فما هو؟**

- أعني تمالك الشخصية، فإذا ما نظرت في وجهه رأيت الصراحة، والاستقامة والجدية، وتستطيع أن تعتمد عليه، فليست عينه فارغة أو يده طويلة، وإنما هو رجل شريف ونبيل تراه فتكون على ثقة بالاعتماد عليه.

وهناك أسماء أستطيع أن أذكرها، ولكني أمتنع عن ذلك.

**في الحقيقة، هناك الكثير من الشباب يتحيرون أمام رد الانتماء المصري إلى الثقافات وإلى الحضارات المغايرة، ويقعون في هذه الحيرة كثيرًا، وقد تكلمتَ عن إنسان الصعيد والإحساس الكوني لديه، بما يؤكد وحدة التاريخ المصري أو وحدة الحضارة المصرية، منذ الفراعنة حتى الآن.. أليس ذلك حقيقة؟**

- حقيقة، لكن يجب أن نزيل لبسًا خطيرًا، فوحدة التاريخ شيء ووحدة الثقافة شيء آخر، فالفراعنة تركوا لنا آثارًا وأحجارًا وتماثيل لها قيمة فنية عالية جدًّا بلا جدال، لكن منذ دخول الإسلام واللغة العربية في مصر، فماذا حدث؟ حدث أننا تكلمنا اللغة العربية، وفكرنا باللغة العربية، بما نتج عنه أن اتصالنا الثقافي مرتبط باللغة العربية، لا أستطيع - إذن - أن أقول إنني منفصل عن الثقافة العربية، هذا هو الانتماء كما

ينبغي أن يُفهَم، أنا أنتمي إلى مصر في كل شيء، لكن في تذوق الكلام وصياغة الأفكار وطريقتها فأنا وثيق الصلة بتراث اللغة العربية، يجب أن تكون هناك موازنة ما بين تراثنا الحضاري وتراثنا اللغوي وأن نجمع ما بين الاثنين، ولماذا نفصل بينهما؟ وما وجه التعارض لنفصل بينهما؟ وكيف أنفي أن الجنازات لدينا بقايا فرعونية، وأنى لي أن أنفي أنني وقفت أمام تماثيل الفراعنة مذهولًا؟ وما المانع أن أحاول التعبير كما كانوا يعبِّرون وأرى المشكلات المتمثلة أمامهم، لماذا رسموا بهذا الشكل أو ذاك، لماذا رسموا مثلًا الكتفين والقدمين إلى الأمام، وبقية القضايا الفنية والتجريبية في فنهم؟! ما هذه المهابة والجلال في التماثيل والنظرة التي ترمي إلى بعيد؟! كل هذه الأشياء هي تراثي ويجب أن تدخل في لحمي ودمي، أما من حيث الثقافة فأنا أتكلم اللغة العربية وأفكر بتلك اللغة ولا أفكر بالهيروغليفية.

**إذن، عندما تمر أمام تمثال نهضة مصر هل تجد فيه هذه الاستمرارية للإنسان المصري وللحضارة المصرية؟**

- بلا جدال، بل أذهب إلى حد القول بأن العبقرية الفنية في مصر هي النحت لا التصوير، بدليل ما فعله الفراعنة، فالنحت عند

الفراعنة أهم بكثير من الرسم، على الأقل في نظري، صحيح أن لدينا أمثلة للرسم لا يتصورها عقل، كلوحة الإوز المشهورة، أو الراقصات الثلاث وهي من أجمل اللوحات في العالم، لكن النحت وجلاله هو الفن الأول عند قدماء المصريين، عندنا كذلك، لماذا؟ خذ «مختار» مثلًا: نظر فلم يجد فرشاة أو ألوانًا، بل وجد طينًا شكَّل منه تماثيله، من هنا يتضح أن النحت لدينا قبل التصوير. وأنت تلاحظ أننا في النهضة المصرية ومبدأ التصوير في العصر الحديث كان في الغالب مستوردًا، وكان الرواد الأوائل يقلدون الرسم الفرنسي، ثم مع ظهور الجيل الثاني بدأت الشخصية المصرية تستقل، فكان التصوير في مصر مبدأ الأمر مستوردًا، أما النحت فكما رأينا عند مختار عندما بدأ العمل، فإنه واصل عمل الفراعنة، لم يحتج إلى تجارب هنا وهناك، وكان لم يزل صغيرًا، دعك من تمثال نهضة مصر، وانظر إلى تماثيله الصغيرة في المتحف، آية في الجمال والذوق: الخماسين، تكاد تحس بالريح وهي تخترق الثوب، العودة من السوق بالبطة، ملء الجِرار، وأرى أن عبقرية مختار ظهرت أكثر في التماثيل الصغيرة.

## الفلاحون رسوم فرعونية

☜ هذا يعطي مثالًا على تواصل واستمرارية الحضارة في مصر، وأذكر أن أحد المؤرخين كان يقول إنه عندما يلتقي مع الفلاحين المصريين على شاطئ الترعة مثلًا، كان يعتقد أنهم رسوم خرجت من على الحوائط الفرعونية.

- خاصة في الأجواء النقية التي لم تختلط بدماء أجنبية كثيرة، كالصعيد الداخلي، وقد تكلمت عن ذلك مرارًا بأن الصعيد هو العمود الفقري لمصر، والرقبة الممتدة والرأس المرفوع، والصلابة الشديدة جدًّا في الأخلاق والعمل وكل شيء، بما يحقق الاستمرارية، لكن إذا ما ذهبنا إلى الدلتا نجد الأمور تختلط قليلًا.

☜ ما رأي الأديب الكبير الأستاذ يحيى حقي في المصطلحات السائدة اليوم بخصوص لغة الصحافة والتي يُقصَد بها الإيجاز وقِصَر الجمل والسرعة، أو لغة الإذاعة وهي اللغة التي تتوخى القصد بين الفصحى والعامية على أن تكون قريبة من القارئ أو المستمع؟

- أنا أضرب مثلًا للنهضة التي وصلنا إليها، بما كان يكتب في الأهرام مثلًا منذ خمس وسبعين سنة، انظر إلى اللغة التي كان يكتب بها أحد الأعمدة وقارن بينها وبين لغة اليوم، وأقول لمن

يدَّعون عدم حصول نهضة مصرية: إليك أية جريدة حكومية كالأهرام أو الجمهورية أو الأخبار، تجدها تعرض للأحداث بلغة يسيرة مفهومة هي في الوقت نفسه لغة فصيحة تخلو من الركاكة أو التعقيد، هي في النهاية لغة عربية سليمة، حتى إني لأذهب إلى القول بأنه في جميع العلوم تمت ترجمة كثير من المصطلحات، فقد تُرجِمت جميع مصطلحات علم النفس، وبقية العلوم كذلك، أستثني منها الطب، فحركة الترجمة فيه تسير رويدًا، لكنا نرى أن جميع فروع العلم الحديث ترجمت مصطلحاتها إلى اللغة العربية، والعجيب أن تظل الفنون والنقد وما إلى ذلك هي المتأخرة عن ركب الترجمة، أما العلم البحت فمتقدمون فيه من ناحية المصطلحات، لكن يجب أن يعلم أصحاب الشأن أن عليهم مسؤولية كبيرة، وأنا أطالب بإدخال الشكل على بعض الكلمات في صحفنا، خاصة في الأفعال المبنية للمجهول، أنا لا أطالب بتشكيل الكلمات تشكيلًا تامًّا، بل أقصد تشكيل حرف واحد في الكلمات المشكلة مثل: فقرية، هي بالكسر أم بالفتح؟ ومثل مضارع الثلاثي، نظرًا لصعوبة قراءته، حتى إني إلى الآن لا أعرف كيف أقيمه جيدًا، فهو ستة أبواب وحتى لو تعلمت القواعد فستجابهك تفريعاته والشذوذ والاختلافات، لذلك ففي رأيي

أن الصحف عليها واجب قومي هو أن تجعل مصححًا يضع حرفًا واحدًا على الكلمة تستقيم به قراءتها.

**ما رأي الأديب الكبير يحيى حقي في المجلات المعاصرة مقارنة بمجلات الأربعينيات والخمسينيات؟**

- يجب علينا أولًا أن نحدد طبيعة المجلات، فإما أن تصدر المجلة للتبشير والدعاية بمذهب أدبي جديد، فتقوم بجمع أنصار هذا المذهب حولها وتفسره وتوضحه ويكون لها شخصية واضحة معه، وإما أن تكون مجلة ثقافة عامة، مائدة طعام عليها أنواع عدة من الأطعمة تنتقي منها ما تريد وتدع ما لا تريد، ونحن وعلى مدى طويل لا نجد لدينا مجلة تدعو إلى مذهب جديد، فكل المجلات كما نرى مضطرة أن تكون موائد عامة، متنوعة الأصناف والأطباق؛ ولذلك من العسير أن تحدد ذوق القارئ أو أي أنواع القراء تنتقيه.

## التعبيرات المستوردة

**عجيب ألا تكون هناك مجلات تدعو إلى مذاهب رغم أن العصر يموج بمذاهب جديدة عديدة ومتناقضة، سياسية وأدبية وغيرها، ما السبب في ذلك؟!**

- أين هي هذه المذاهب الأدبية؟ اللهم إذا استثنينا الشعر الحر والكلاسيكي؟! هل عندنا ناقد أوجد في القصة والرواية مثلًا مذهبًا جديدًا؟ ألسنا نستورد جميع تعبيرات النقد الحديث من أوربا؟! الشيئية والعينية وغيرها، من أين لنا بها؟ أليست منقولة؟ وللأسف، فإن ما يسيء إلى مجلاتنا الثقافية هو الانقسام الأيديولوجي، ما بين اليمين واليسار وهي النكبة الكبيرة التي صادفتُها أنا شخصيًّا وأنا أرأس مجلة (المجلة)، واسمح لي أن أروي لك حادثة تبين لك مدى الصعوبة التي جابهتها: خرج كثير من الشيوعيين من السجون وكانوا في حاجة إلى المساعدة، فقلت لهم: أنا لا أنظر إلى ألوانكم، ولكن اكتبوا لي بشكل موضوعي مقالات ذات قيمة وأنا قمين أن أنشرها، فأنا لا شأن لي بلونكم السياسي، وقلت لأحدهم: أنت يا فلان مختص في علم النفس، فاكتب لي مقالًا في علم النفس، فأحضر لي في اليوم التالي مقالًا عن بافلوف رئيسًا للنهضة في علم النفس. قلت له: يا أخي ترفق! ألم تجد غير بافلوف، هذا العالم الروسي. لماذا التعنت الذي أفسد مجلاتنا الأدبية؟

**يعتقد الناس أن الاتجاهات المعاصرة محصورة في اتجاهين إما إلى يمين أو إلى يسار، فماذا ترى في هذه الظاهرة؟**

- هنا يكون الكلام عن قيمة الفن في المجتمع، فيجب أن نقفز فوق هذه المراتب لنصل إلى مرتبة عليا تسمى الفن، نريد أن نبصر الناس بماهية الفن، نريد لهم أن يتذوقوا الجمال والفن، وبعد ذلك لهم أن ينقسموا إلى يمين أو إلى يسار لا ضير، لكن قبل ذلك؛ قبل أن يصلوا إلى مرتبة تذوق الفن، فإن الخلافات تبقى سقيمة جدًّا، وتدور بين أشخاص غير ناضجين روحيًّا، بما يتولد عنه الشطط والشذوذ والتطرف، ولا يمكن للإنسان أن ينضج إلا على نار الفن.

## القرآن في صفحة واحدة!

**وهي في النهاية تقسيمات ومصطلحات تغرقنا أخيرًا؟**

- بالطبع، ولنعد إلى القرآن، سنجد أحيانًا من يتناولون القرآن بعبث طفولي يجب أن يُردَع حتى ولو كان القائل به من أكبر الرؤوس، كما سمعنا عن تفسير القرآن بكلمات كل أحرفها غير منقوطة، فهل هذا مما يُشاد به؟! ما هذا إلا براعة العبث، وأذكر لك أني كنت مديرًا لمكتب خشبة باشا - رحمه الله - وجاءتنا هدية له عبارة عن القرآن كاملًا مكتوبًا في صفحة واحدة، فقال لي كما يقول وزير لسكرتيره: رد عليه. فقمت بكتابة خطاب شكر أشكره فيه على هديته. فلما أطلعته على الخطاب قال لي: أنت رجل أحمق؛ لأن هذا الرجل الذي بعثر وقته في هذا العمل إنما هو عبث في عبث، وكان

يحق لك أن تزجره بدلًا من أن تشكره، فتقول له: لو أنك بذلت جهدًا في جمع القرآن وتفسيره مثلما بذلت في هذا الخط الدقيق لكان هذا أولى لك. حتى إننا عندما دققنا النظر في هذا الكلام الدقيق وجدناه مثلًا في سورة البقرة قام بحذف آيات الجدل بين موسى وقومه حول البقرة وصولًا إلى النتيجة مباشرة، فقام بحذف سؤالات بني إسرائيل عن لون البقرة وشكلها وغيره، ووصل إلى النتيجة، إلى هذه الدرجة الخطيرة وصل العبث!

**الكاتب الكبير الأستاذ يحيى حقي، بعد هذا الحوار الممتد، كيف تختصر شهادتك على هذا العصر؟**

- هذا عصر يصيب الإنسان بالدوار، ولو أخبرتك عن عدد الحروب التي عاصرتها، أو الاختراعات الحديثة التي رأيتها بعينيَّ من طائرة وسيارة وجرامافون وتلفون وإلكترونيات إلخ، فإن الإنسان يلهث وراءها وكأنما يُضرَب بسوط، وهو في حاجة - إذن - إلى وقفة تأمل طويلة جدًّا، والبحث عن الأساسيات التي مهما تغيَّرت الأحوال فإنها تظل ثابتة، كالأخلاق والفضائل كالنبل وفعل الخير، هذه هي الركائز التي ينبغي أن نتشبَّث بها كما يتشبث الغريق بقشة، وإلا فإننا في بحر هذا الزحام والجري واللهاث سنصاب بدوار إن لم نصب بجنون.

# الخاتمة

لقد سجل الكاتب الكبير يحيى حقي الحياة المصرية بكل وقائعها خير تمثيل؛ فقد عكست كتاباته أنماط الحياة والتقاليد الاجتماعية في صعيد مصر وريفها، كما حرص على نقد الواقع الاجتماعي للأمة. كما أرسى أسس الدرس النقدي منذ وقت مبكر، فكان كتابه «فجر القصة المصرية» - على صغر حجمه - تأصيلاً مبكرًا للأسس الفنية للنقد الأدبي لفن القصة. ولم يقتصر تأثيره على أبناء جيله فحسب، بل أثر تأثيرًا كبيرًا على الأجيال اللاحقة من الكتاب؛ حيث كرَّس حياته لإرساء القيم الأدبية والفكرية والأخلاقية، وظل يرسي تلك المبادئ والقيم ويبثها في تلاميذه من خلال إبداعاته حتى آخر لحظة في حياته. وكان للإبداع الأدبي لديه قيمة فنية وفكرية وجمالية، فقد كان يمتلك قدرة عجيبة على استشراف آفاق المستقبل الأدبي، كما كان متمكنًا من الأداة اللغوية، عارفًا بتراث أمته وتاريخها، وهو ما أضفى على أدبه سحرًا فريدًا، فقد كان يجمع بين جمال الصياغة وروعة الفكرة والإحساس المرهف، مع الاهتمام بالقيم الدينية والأخلاق السامية وإعلاء المثل العليا.

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **تقديم** | ٧ |
| **مقدمة** | ٩ |
| **يحيى حقي** | ١١ |
| **نص الشهادة والحوار** | ١٧ |
| يحيى حقي والأكلشيهات | ١٩ |
| قرأت الجبرتي فاستكملت مصريتي | ٢٠ |
| وقف لبغلة شيخ الأزهر | ٢٤ |
| نكسة الأزهر والأفندية | ٢٧ |
| لا أحب اللطم على الخدود | ٢٩ |
| الفلاح والجهات الأربع | ٣١ |
| اللغة أولاً | ٣٢ |
| شكِّلوا ولو حرفًا في الكلمة | ٣٤ |
| حديث عيسى بن هشام..يدرَّس | ٣٦ |

عندما يكون الأدباء لقطاء ..... ٣٩
التلحين الآن .. سلق بيض ..... ٤٢
الأغاني لا تثبت وطنيتنا ..... ٤٣
مصر ليست أم الدنيا ..... ٤٧
يحيى حقي والقرآن..... ٤٩
يحيى حقي.. تلميذًا ..... ٥١
يحيى حقي وجزء عم .. علاقة خاصة جدًّا..... ٥٣
عبء المثقف العربي أكبر من الإنجليزي ..... ٥٤
كيف نربي الطفل بالقرآن ..... ٥٧
أين النمط الإسلامي؟ ..... ٥٩
الفلاحون رسوم فرعونية ..... ٦٣
التعبيرات المستوردة..... ٦٥
القرآن في صفحة واحدة! ..... ٦٧
**الخاتمة** ..... ٦٩
**الفهرس** ..... ٧١

## في هذا الحوار

- حقي: قرأت للجبرتي فاستكملت مصريتي.
- ما حكاية بغلة شيخ الأزهر؟
- هل نحن في حاجة إلى استيراد منهج للتفكير؟
- حقي: المصريون شاركوا في هدم الأزهر.
- حقي: لا أحب حلقات اللطم على الخدود.
- حقي: أنا معجب جداً بالشخصية المصرية.
- كيف رأى يحيى حقي شباب اليوم؟
- لماذا كان ليحيى حقي أزمة مع التشكيل؟
- حقي: سلامة موسى يدعي أنه مخترع كلمة الثقافة، وكأن لم يكن قبله ثقافة!
- حقي: حديث عيسى بن هشام للمويلحي أنقذ اللغة العربية من قبرها.
- لماذا لم يكتب يحيى حقي الشعر؟
- ما العلاقة بين التلحين اليوم و"سلق البيض" في نظر يحيى حقي؟
- لماذا رفض يحيى حقي أكلشيه "مصر أم الدنيا"؟
- حقي: ضُربت وأنا تلميذ أكثر من مرة!
- حقي يتساءل: أين النمط الإسلامي؟

## الأستاذ عمر بطيشة

- رئيس الإذاعة المصرية الأسبق.
- خريج آداب إنجليزى عام ١٩٦٤ ودبلوم دراسات عليا فى الإعلام عام ١٩٧١.
- قدم العديد من البرامج الإذاعية التي حصدت الجوائز الذهبية، لكن أشهرها "شاهد على العصر" الذى تم نشر حواراته فى هذه السلسلة من الكتب.
- قدم "شاهد على العصر" في البرنامج العام بالإذاعة المصرية من يناير ١٩٨٣ الى مارس ٢٠٠١ حينما انشغل عنه برئاسة الإذاعة المصرية وجمعية المؤلفين والملحنين.
- كما قدم "شاهد على العصر" تليفزيونيا على شاشة القناة الثقافية من ١٩٩٣ الى ٢٠٠٠.

له ثلاثة دواوين شعريه هى:

- "الهجرة من الجهات الأربع" عام ١٩٧٠
- "أغنية إليها" عام ١٩٨٧
- "قصائد حب" عام ٢٠٠١

كما ألّف عشرات الأغنيات الذائعة لنجوم الغناء فى الوطن العربى.

دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية